

## مجمع الأمثال

32 - إنَّ العَصَا مِنَّ العُصَيَّةِ .

قال أبو عبيد : هكذا قال الأصمعي وأنا أحسبه العُصَيَّة من العصا إلا أن يُراد أن الشيء الجليل يكون في بدء أمره صغيرا كما قالوا : إن القَرَم من الأفيل ( القرم - بفتح القاف وسكون الراء - الفحل من الإبل والأفيل - بوزن الأمير - ابن المخاض فما دونه وهذا مثل سيأتي ) فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال : العصا من العُصَيَّة .

قال المفضل : أول من قال ذلك الأفعى الجُرهُمي وذلك أن نيزارا لما حضرته الوفاة جمَعَ بنيه مضر وإيادا وربيعة وأنمارا فقال : يا بني هذه القبة الحمراء - وكانت من أدَم - لمضر وهذا الفرس الأدهم والخبَاء الأسود لربيعة وهذه الخادم - وكانت شَمَطَاء - لإياد وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه فإن أشكل عليكم كيف تفتسمون فائتوا الأفعى الجرهمي ومنزلهُ بنجران . فتشاجروا في ميراثه فتوجَّهوا إلى الأفعى الجرهمي فبيناهم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثرَ كلاً قد رُعِيَ فقال : إن البعير الذي رَعَى هذا لأعور قال ربيعة : إنه لأزورُ قال إياد : إنه لأبتَرُ ( الأزور : الذي اعوج صدره أو أشرف أحد جانبي صدره على الآخر والأبتر : المقطوع الذنب ) قال أنمار : إنه لشَرُود فساروا قليلا فإذا هم برجل يندشُد جَمَله فسألهم عن البعير فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم [ ص 16 ] قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم قال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم قال أنمار : أهو شَرُود ؟ قال : نعم وهذه والله صفة بعيري فدُلوني عليه قالوا : والله ما رأيناه قال : هذا والله الكذبُ . وتعلَّسَ بهم وقال : كيف أصدِّقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ؟ فساروا حتى قدِموا نجران فلما نزلوا نادى صاحبُ البعير : هؤلاء أخذوا جَمَلي ووصفوا لي صفته ثم قالوا : لم نَرَهُ فاختصموا إلى الأفعى وهو حكَم العرب فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تَرَوْه ؟ قال مضر : رأيته رَعَى جانبا وتَرَكَ جانبا فعلمتُ أنه أعور وقال ربيعة : رأيته إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدته فعلمت أنه أزورُ لأنه أفسده بشدةٍ وطئته لازوراره وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعيره ولو كان ذِيَّ لالٍ لمَصع به وقال أنمار : عرفت أنه شَرُود لأنه كان يرعى في المكان المفلتَّ نَيْبَتُهُ ثم يَجُوزُهُ إلى مكان أرقَّ منه وأخبثَ نَيْبَتًا فعلمت أنه شَرُود فقال للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم : مَنْ أنتم ؟ فأخبروه فرجَّابهم ثم أخبروه بما جاء بهم فقال : أحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم فذَبَحَ لهم شاةً وأتاهم بخَمْرٍ : وجلس لهم الأفعى حيث لا يُرَى وهو يسمع كلامهم فقال ربيعة : لم

أَرَّ كَالْيَوْمَ لِحِمَاءٍ أَطِيبٍ مِنْهُ لَوْلَا أَنْ شَاتَهُ عَذِيَّتٌ بَلْبِنِ كَلْبَةٍ فَقَالَ مَضْرٌ : لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ  
خَمْرًا أَطِيبًا مِنْهُ لَوْلَا أَنْ حُدِيْلَتَهَا نَبَتَتْ عَلَى قَبْرِ فَقَالَ إِيَادٌ : لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ رَجُلًا  
أَسْرَى مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ لَيْسَ لِأَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ فَقَالَ أَنْمَارٌ : لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ كَلَامًا أَوْ نَفْعًا  
فِي حَاجَتِنَا مِنْ كَلَامِنَا وَكَانَ كَلَامُهُمْ بِأَذُنِّهِ فَقَالَ : مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا شَيَاطِينٌ ثُمَّ دَعَا  
الْقَهْرَمَانَ فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْخَمْرُ ؟ وَمَا أَمْرُهَا ؟ قَالَ : هِيَ مِنْ حُدِيْلَةِ غَرَسْتُهَا عَلَى قَبْرِ  
أَبِيكَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا شَرَابٌ أَطِيبٌ مِنْ شَرَابِهَا وَقَالَ لِلرَّاعِي : مَا أَمْرُ هَذِهِ الشَّاةِ ؟ قَالَ : هِيَ  
عَنْدَاقٌ أَرْضَعَتْهَا بَلْبِنِ كَلْبَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ أُمَهَا كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْغَنَمِ شَاةٌ وَوَلَدَتْ  
غَيْرَهَا ثُمَّ أَتَى أُمُّهُ فَسَأَلَهَا عَنْ أَبِيهِ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ مَلِكٍ كَثِيرِ الْمَالِ وَكَانَ لَا يُولَدُ لَهُ  
قَالَتْ : فَخَفْتُ أَنْ يَمُوتَ وَلَا يُولَدُ لَهُ فَيَذْهَبُ الْمَلِكُ فَأَمَكَنْتُ مِنْ نَفْسِي ابْنَ عَمٍّ لَهُ كَانَ نَازِلًا عَلَيْهِ  
فَخَرَجَ الْأَفْعَى إِلَيْهِمْ فَقَصَّ الْقَوْمُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَوْصَى بِهِ أَبُوهُمْ فَقَالَ : مَا  
أَشْبَهَهُ الْقَبَّةُ الْحَمْرَاءُ مِنْ مَالٍ فَهُوَ لِمَضْرٍ فَذَهَبَ بِالْدَنَانِيرِ وَالْإِبِلِ الْحَمْرِ فَسَمَى " مَضْرَ الْحَمْرَاءِ  
" لِذَلِكَ وَقَالَ : وَأَمَّا صَاحِبُ الْفَرَسِ الْأَدْهَمِ وَالْخَبَاءِ الْأَسْوَدِ فَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ أَسْوَدٌ فَصَارَتْ لِرَبِيعَةَ  
الْخَيْلِ [ ص 17 ] الدُّهُمُ فَقِيلَ " رَبِيعَةُ الْفَرَسِ " وَمَا أَشْبَهَ الْخَادِمَ الشَّمْطَاءَ فَهُوَ لِإِيَادِ  
فَصَارَ لَهُ الْمَاشِيَةُ الْبِلَاقُ مِنَ الْحَبِلِ الْقِ وَالنَّقْدِ ( الْحَبْلُ : غَنَمٌ صَغِيرٌ لَا تَكْبُرُ  
وَالنَّقْدُ : جِنْسٌ مِنَ الْغَنَمِ قَبِيحٌ الشَّكْلُ ) فَسَمَى " إِيَادَ الشَّمْطَاءِ " وَقَضَى لِأَنْمَارٍ بِالْدِرَاهِمِ  
وَبِمَا فَضَّلَ فَسَمَى " أَنْمَارَ الْفَضْلِ " فَصَدَّرُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ الْأَفْعَى : إِنْ الْعَصَا مِنْ  
الْعُمَيْيَّةِ وَإِنْ خُشَيْيْنَا مِنْ أَخْشَانَ وَمُسَاعِدَةَ الْخَاطِلِ تَعَدُّ مِنَ الْبَاطِلِ فَأَرْسَلْنَهُنَّ مُثْلًا  
وَأَخْشَانَ وَأَخْشَانَ : جَبَلَانِ أَحَدُهُمَا أَصْغَرُ مِنَ الْآخَرِ وَالْخَاطِلُ : الْجَاهِلُ وَالْخَطَلُ فِي الْكَلَامِ :  
اضْطِرَابُهُ وَالْعُمَيْيَّةُ : تَصْغِيرُ تَكْبِيرٍ مِثْلُ " أَنَا عَذِيَّةٌ يَقُوهَا الْمَرْجَبُ وَجُدِيَّةٌ يَلُوهَا  
الْمُحْكَمُ " وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَشْبَهُونَ أَبَاهُمْ فِي جَوْدَةِ الرَّأْيِ وَقِيلَ : إِنْ الْعَصَا اسْمُ فَرَسٍ  
وَالْعُمَيْيَّةُ اسْمُ أُمِّهِ يَرَادُ أَنَّهُ يَحْكِي الْأُمَّ فِي كَرَمِ الْعِرْقِ وَشَرَفِ الْعِرْتِ